

مهند مصطفى وعرين هوارى

يتناول العدد الحالي من مجلة جدل باكورة أعمال طلبة دكتوراه شاركوا في سمينار البحث العلمي الذي ينظمه مركز مدى الكرمل كل عام، والذي يرمي إلى تحقيق أمرين نراهما في غاية الأهمية: دعم مسيرة الطلبة الأكاديمية نحو إنتاج معرفة منحازة وطنياً، ولكنها علمية وتنتج باللغة العربية. فاللغة هي جزء من ماهية المعرفة، وقيام طلبة شباب فلسطينيين بعرض بحوثهم في اللغة العربية يُعتبر بحد ذاته جهداً معرفياً لا يقلّ مثابرة عن الجهد المعرفي المبذول فكراً ودراسة في موضوع البحث. لذا، فإنّ السمنار يضع أمام الطلبة كذلك تحدّي التعامل مع الإنتاج المعرفي العلمي باللغة العربية في العلوم الاجتماعية والإنسانية على مَحْمَل الجِدِّ في مسيرتهم الأكاديمية والبحثية.

لا نعني بإنتاج معرفة وطنية لفلسطين والفلسطينيين الانعتاق عن التراكم المعرفي الإنساني وعن الأطر النظرية العالمية والأبحاث المنجزة في الحقول العلمية التي يبحثها المشاركون، بل نعني إنتاج معرفة مستأنفة عن الهيمنة المعرفية القائمة، من خلال النقد والتفكيك ثمّ التركيب وإعادة إنتاج المعرفة القائمة بمفهمة وتأطير متجددين. فالاستئناف على المعرفة القائمة لا يعني الانعزال عنها، بل يعني أنّ مَمْلِكها لا أنّ مَمْلِكنا، أنّ نحيط بها لا أنّ نحيط بنا، أنّ نعقلها لا أنّ تحتلّ عقولنا فتتحوّل إلى أيديولوجيا قاتلة للعقل المعرفي العلمي. إذن، يهدف هذا السمينار إلى دعم طلبة الدراسات العليا الفلسطينيين وهم في طريقهم نحو إنتاج معرفة فلسطينية تعيد إحياء الحداثة الفلسطينية المبتورة منذ عام 1948، وتعيد الاعتبار للحقل الثقافي الفلسطيني، ولا سيّما أنّ السمينار يجمع طلبة وطالبات فلسطينيين يدرسون في جامعات مختلفة، وهم يلتقون في هذا السمينار بصورة استثنائية لطرح معرفة في واقع غير طبيعي، وهو تحدّي سياسي وعلمي في الوقت نفسه. يتمثل التحدي السياسي في إنتاج حقل فلسطيني علمي وسوسولوجي في واقع التجزئة السياسية، ليتحوّل الحقل الثقافي المعرفي إلى أساس وحدة الشعب الفلسطيني.

يشمل العدد الحالي سبعة نصوص لطلبة وطالبات شاركوا في السمينار، يتناول المقال الأول البحث الذي تقوم به الطالبة إلهام شمالي من قطاع غزة، والذي يسعى إلى فحص أهمية الدور الذي مارسته مؤسسة "الكيرين كاييمت" في تجسيد دولة إسرائيل، مشيرة أنّها تُعدّ "أولى المؤسسات الصهيونية التي انبثقت من المنظمة الصهيونية عام 1901م،

وقد جسدت أيديولوجية الاستعمار الكونياليّ تجاه أرض فلسطين وشعبها وكشفت مبادئها عن الأصول العنصرية التي صاغتها المنظمة الصهيونية".

الطالبة رائفة جبارين تعالج في مقالها موضوع المعرفة والمواقف والسلوكيات الجنسانية لدى طلبة الثانوية الفلسطينية في إسرائيل، مشيرة إلى أن "المجتمع الفلسطيني في إسرائيل يعيش مرحلة مجتمعية انتقالية، ولا سيما في ما يتعلق بالعلاقات داخل العائلة حيث الفجوات بين الأجيال كبيرة وتتعمق على نحو خاص عند الحديث عن الجنس والجنسانية التي ما زالت في عداد "التابوهات" الاجتماعية؛ وحيث في المعتاد يواجه الأهل والمعلمون صعوبة في التعامل مع هذا الموضوع الحساس.

أما الدكتورة حنين مجادلة، فقد أشارت، في مقالها حول الجماعات الإسلامية في المجتمع الفلسطيني في إسرائيل وتوفيرها لخدمات اجتماعية للأطفال، إلى نتائج البحث المركزية مدعية أن للجماعات الإسلامية حضوراً وتأثيراً كبيرين، حيث تنشط هذه الجماعات في الحيزين السياسي والاجتماعي كما هو حال الجماعات الإسلامية في الشرق الأوسط. وعلى الرغم من التشابه في النشاط وظروف تأسيس الجماعات في سائر الدول العربية، تنفرد الجماعات الإسلامية في البلاد بأنها الوحيدة التي تطوّرت، وما زالت تعمل تحت سلطة غير مسلمة، بل معادية أحياناً.

وأما الطالبة بسمة أبو تنها، فتبين في مقالها المعنون بـ "سرد قصص لسيرة حياة نساء فلسطينيات في إسرائيل اللاتي نشأن في عائلات تطلّق فيها الوالدان على خلفيّة عنف زوجي"، ومن خلال تلك السيرة، أن التجارب التي عاشتها تلك النساء في طفولتهن تركت آثاراً قوية في نفوسهنّ، وما زالت ترافقهنّ حتّى اليوم. تظهر تلك القصص في مراحل مختلفة من حياتهنّ، تختفي وتتغيّر تارة، وتعود لتظهر بقوة تارة أخرى. منها قصص انكسار وضعف وخوف يرافقهنّ منذ كنّ فتيات، ومنها قصص إصرار وتحدّ وصل جديد للذات.

الطالبة أماني هوارى تعالج في مقالها مظاهر الأدب النسويّ في كتابات يوسف إدريس وزكريّا تامر، وتشير إلى أن موقف كلّ من هذين الكاتبين من المرأة "ينسجم مع مواقف نصّية عديدة لكلّ منها؛ ففي العديد منها يبدوان نصيرين للمرأة متعاطفين مع قضاياها، كما يبدوان ساخرين من كلّ القوى التي سلبت الإنسان المستضعف حرّيته. فتكون مناصرتهما للمرأة منسجمة مع رؤيتهما المناهضة للاستعمار، على سبيل الموازنة بينها وبين المستعمر المستضعف في الصورة السياسية العامّة".

أما الطالبة شيرين تناصرة برغوث، فقد تناول مقالها البحث الذي تقوم به حول موضوع التعالق اللغويّ بين العربية وأخواتها السامية اعتماداً على أعمال الأب أنستاس ماري الكرمليّ اللغويّة، ولا سيما في علوم اللسانيات العربية والبحث المقارن مع اللغات السامية، لتطرح العديد من الأسئلة حول أعماله، وتتعامل معها في بحثها، من بينها -على

سبيل المثال:- ما هو مصدر التعالق اللغويّ بين العربيّة وغيرها من اللغات الساميّة، اعتمادًا على أعمال الكرمليّ؟ وما الذي يميّز هذا التعالق اللغويّ بين العربيّة وغيرها من اللغات الساميّة؟

وختّم العدد بمقال للدكتور نايف عوّاد يتناول فيه مدى قدرة طلاب المرحلة الإعداديّة على تعلّم مواضيع علميّة - تكنولوجيّة متقدّمة في سنّ مبكرة، وكذلك يقوم بكشف العوامل التي من شأنها أن تؤثر على تحصيلهم ودافعيتهم للتعلّم، فيؤكّد "ضرورة تطوير وتدريس مواضيع علميّة -تكنولوجيّة متقدّمة تتّصل بواقع الطالب اليوميّ، وتخطب تحديات هذا العصر الرقّميّ، بحيث يكون الدمج بين المواضيع المختلفة -كالفيزياء والإلكترونيات والتكنولوجيا والحاسوب والرياضيات- أمرًا طبيعيًا وتلقائيًا، وجزءًا لا يتجزأ من سيرورة العمليّة التعليميّة".